

January 2021

## ملاحُ المقاومةِ الشعبيَّة في ديوانِ "المجدُّ ينحني أمامكم" مُقْتَرِباتُ الموضوعِ والتَّشكيلِ الشعريِّ

Khalel Qatanani

College of Sciences and Islamic Studies, Ministry of Endowments and Religious Affairs, Qalqilya,  
Palestine, khaleela11@hotmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/ptuk>

 Part of the [Arts and Humanities Commons](#), [Business Commons](#), [Education Commons](#), [Engineering Commons](#), and the [Social and Behavioral Sciences Commons](#)

### Recommended Citation

Qatanani, Khalel (2021) "المجدُّ ينحني أمامكم" مُقْتَرِباتُ الموضوعِ والتَّشكيلِ "الشعريِّ", *Palestine Technical University Research Journal*: Vol. 8: Iss. 3, Article 7.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/ptuk/vol8/iss3/7>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Palestine Technical University Research Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).



---

ملامح المقاومة الشعبية في ديوان "المجد ينحني أمامكم" مقتربات الموضوع والتشكيل الشعري  
Features of Popular Resistance in Diwan "Glory Bows Before You" Approaches to  
Subject and Poetic composition

---

خليل عبد القادر قطناني\*<sup>1</sup>

khalel.A.Q. Qatanani\*<sup>1</sup>

<sup>1</sup> قسم اللغة العربية، كلية العلوم والدراسات الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قلقيلية

<sup>1</sup>Department of Arabic Language, College of Sciences and Islamic Studies, Ministry of Endowments and Religious Affairs, Qalqilya, Palestine

تاريخ النشر: 2020/12/01

تاريخ القبول: 2020/02/09

تاريخ الإستلام: 2019/12/03

**المستخلص:** تتناول الدراسة ديوان "المجد ينحني أمامكم" للشاعر عبد الناصر صالح (شاهين، 1992)، بوصفه أنموذجا مناسباً لدراسة موضوعية المقاومة الشعبية ودورها في مجابهة المحتل عبر توظيف أساليب المقاومة الشعبية ووسائلها، وبيان مرتكزاتها، وملامحها الموضوعية والشعرية، وأما الشاعر عبد الناصر فقد عاش تجربتي النضال والاعتقال في الانتفاضة عام (1987). ومارس المقاومة السلمية أدبا وفعلا على أرض الوطن. وتحاول الدراسة تفكيك مفردات نصوص الديوان من خلال توظيف المنهج التحليلي لتجلية مدى مواكبة النص لواقع الحدث "المقاومة الشعبية" ضد الآخر الإسرائيلي، عبر دراسة التقنيات الفنية والتشكيل الشعري، ومدى فعاليتها واقعا وممارسة وثقافة وأيديولوجيا. وقد تبين للباحث قدرة الشاعر الفنية في تأصيل حالة المقاومة الشعبية، إن على مستوي المفردة أو الصورة، وما ترتب على ذلك من أثر إيجابي على وجدان الشعب المقاوم.

**الكلمات المفتاحية:** المقاومة الشعبية، المجد ينحني أمامكم، السجن، العرس الفلسطيني، اللاعنف.

**Abstract:** The study deals with the "Glory bends before you" by the poet Abdel Nasser Saleh, as an appropriate model to study the subject of popular resistance and its role in confronting the occupier through the use of popular resistance methods and means, and the statement of its foundations, and objective and poetic features. He lived the experiences of struggle and arrest in the Uprising. He practiced peaceful resistance on the homeland by his pencil and actions. The study attempts to dismantle the vocabulary of the texts of the Diwan by employing the analytical methodology in order to demonstrate the extent to which the text copes with the reality of the event "popular resistance" against the other Israeli, through the study of technical techniques and poetic formation, and the effectiveness of reality and practice, culture and ideology. The researcher found the poet's artistic ability to root the state of popular resistance, whether at the level of term or poetic image, and the resulting positive impact on the conscience of the resistance people.

**Keywords:** Popular Resistance, Glory Bend Before You, Prison, Palestinian Wedding, Nonviolence.

## المقدمة:

ارتبط العمل الثوري الشعبي بالشعر الفلسطيني، بدءاً بالانتداب البريطاني، وممارسته التعسفية ضد الإنسان والأرض، وظل كذلك حتى وقوع فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني سنة 1948 م وحتى ساعة كتابة هذا البحث، وقد عبر الشعر الفلسطيني عن رفضه تلك الأوضاع الطارئة، وأسهم في تغييرها بالكلمة والفعل. فنشأة الشعر الفلسطيني المقاوم نشأة طبيعية؛ فرضها الواقع، وطورتها المأساة، ووخدها الهدف، ولم يك طارئاً على الحالة الفلسطينية، وكذلك تبدو المسألة في كل قطر وقع تحت وطأة المحتل الأجنبي الغريب، حيث يقوم الكتاب والمتقنون بمهمة تشكيل الوعي والتغيير، وقد قضى بعضهم في تلك المعركة وهو يدفع ثمن الكلمة الحقّة التي عاش من أجلها. هذا، ولقد رقد الشعر العربي الفلسطيني حركة الثورة، وعدّه النقاد ضماناً لاتساعها واستمرارها، ومخلداً لإنجازاتها.

ونتيجة لوقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم الاحتلال الإسرائيلي، وتشريد الملايين من أبناء الشعب في المنافي والشتات، واستقدام ملايين المهاجرين والمستوطنين اليهود، وما رافق ذلك من تعذيب وقمع وقتل... قام الشعب الفلسطيني بالثورات المتعاقبة ليقاوم هذا المحتل، فجاءت أحداث الإضراب عام (1936 م)، إلى أن وقعت النكبة سنة 1948 م، ثم النكسة 1967 م، ليعلم اليهود بعدها قيام دولتهم على كامل التراب الفلسطيني، وبذلك اكتمل حلمهم المزيف، وهُزم العرب في هاتين الحربين شرّ هزيمة. وحدث أن تدخلت الأمم المتحدة، وأقرت القرارات الجائرة التي تهضم الحق الفلسطيني، فكان قرار التقسيم "181" الصادر بتاريخ 29/11/1947 م، وتلاههما قرارا "242، 194" حيث رفضها العرب بادئ الأمر، وظلّ الشعب الفلسطيني طيلة السنوات يرزح تحت نير الاحتلال، الذي استمر في العدوان، وبناء المستوطنات، وإغلاق المؤسسات الثقافية والاجتماعية، إلى أن تفجرت الانتفاضة عام "1987 م" لتبدأ مرحلة نضالية جديدة، لها سماتها، وركائزها، وإنجازاتها المرتكزة على مبادئ المقاومة الشعبيّة.

وتعدّ هذه الدراسة حلقةً من حلقاتٍ ممتدة الجذور والفروع في الحديث عن المقاومة الشعبيّة التي انتهجها الشعب بوصفها وسيلة حضارية وناجعة في درب الكفاح النضالي، وهنا تكمن خصوصية الدراسة وكيونتها المعرفيّة والوطنية.

وقد اشتغلت الدراسة على فتح ملف الشعر الفلسطيني في مواجهته (الاستعمار الصهيوني) عبر توظيف المقاومة الشعبيّة ووسائلها، وبيان مرتكزاتها وملامحها الثقافية والموضوعية والشاعريّة.

وانتهج الباحث المنهج التحليلي في رصد المقتربات الموضوعية ومكان الشاعريّة في التعبير الأدبي عن المقاومة الشعبيّة في الديوان موضوع الدرس، وتشتبك الدراسة الأدبية مع الواقع في تفكيك إشكالية تجيب عن سؤالين بؤريين ومركزيين:

أولاً: ما مدى فعالية استخدام معطى "المقاومة السلمية" ضد عدو إحلالي مركب لا يتورع عن استخدام القوة الخشنة والمفرطة في قمع الفعاليات السلمية، وغير آبه بالقرارات الدولية، ومبادئ حقوق الإنسان؟ وكم تبدو المفارقة صعبة وتراجيديّة عندما تصدّر دراسة تتسم بعنوان المقاومة السلمية أو الشعبية، ثم يقفز نظرك نحو الطرف الآخر الذي يمارس كل أنواع الإرهاب العسكري.

ثانياً: كيف أسهم الشعر في إذكاء روح المقاومة الشعبيّة والتعبير عنها جمالياً؟

وقد اجترح الدارس لبحثه مخططاً هيكلياً تمثل فيما يأتي:

## تمهيد: ديوان "المجد ينحني أمامكم" إطلالة نقدية:

صدر الديوان بطبعته الأولى والوحيدة عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين (عام 1989) أي بعد عامين من اشتعال الانتفاضة، وهو وقت مبكر جداً في النتاج الثقافي، وتدور نصوص الديوان على محوري الكفاح والثقافة إبان انتفاضة الحجارة (عام 1987) حيث تعرّض الشاعر لتجربة الاعتقال

أهدى الشاعر الديوان إلى الملتهمين فرسان النار، وقادة الحجارة وجنرالات الأرض المحتلة، كما أهداه إلى أبيه؛ من علمه جدلية التلازم العلاقة بين الكلمة والحجر. (صالح، 1998).

يتصدر الديوان كلمة بقلم الكاتب سليمان الناطور حيث عرّج فيها على السيرة الذاتية للشاعر وأثاره الأدبية من ناحية ، وتحدث من ناحية أخرى عن ليلة اعتقال الشاعر، ساردا بعض الملامح من حياة السجين الفلسطينيّ حين ذكر رقم الشاعر داخل المعتقل (2145) الذي جرده من إنسانيته، وحمله بدلا من اسمه.

ولا غرابة في أن تتمحور نصوص الديوان حول المضامين الكفاحية إذ يتكثف الحديث عن فعاليات الانتفاضة الأولى بكل طقوسها وتفصيلها.

في الحديث عن الشكل الشعريّ ، فإن جميع نصوص المدوّنة الشعريّة تسير على منوال الشعر الحرّ الذي يتحرر من عدد التفعيلات المقيدة في محور الخليل، ويتحرر أيضا من القافية الموحدة في كثير من مساقط النصوص، وإن ظلّ يُمسك بالخيط النغمي الموسيقي، ولعل ذلك قد أتاح للشاعر متنفسا جريانيا للروح، وما انكسار قيد زمن التفعيلات إلا معادل إيقاعي وموضوعي للانتفاضة حيث كسرت قيد زمن المحتل.

أما فيما يتعلق بسمياء الغلاف فقد سيطر اللون الأخضر على صفحة الغلاف، وحلّ العنوان النَّصبيّ في أعلى الصفحة، وتترع ترسيمة دالة على العلاقة مع نصوص المدوّنة الشعريّة حيث ترتفع الأكف الفلسطينية السمراء لتقذف الحجارة، وتقطع الأسلاك الشائكة التي تحاصر حياة الفلسطينيّ.

استقبل بعض الدارسين المدوّنة الشعرية، وخاضوا في شاعريتها وموضوعاتها الفنية، غير أن لا أحد منهم درس المدوّنة من زاوية المقاومة الشعبيّة وأدواتها وملامحها، وأشار في عتبة الهامش إلى بعض تلك القراءات التي تعد لقطات لا دراسات (الشرفا، علوش، و عودة، 2011).

## المبحث الأول: المقاومة الشعبيّة – المفهوم والإشكاليات والملاحم

المطلب الأول: أسباب اندلاع الانتفاضة عام (1987م)

يعدّ الشعر المقاوم في مرحلة الانتفاضة المباركة محطة متميزة، وحلقة مهمة من حلقات النضال الفلسطينيّ، وقد أفاض المؤرخون في الحديث عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى اندلاع الانتفاضة (جبارة، 1998) "وكانت الشرارة المباشرة التي أشعلت نارها حادثة استشهاد أربعة مواطنين، وجرح تسعة آخرين في حادث سير عنيف على مدخل قطاع غزة، وذلك عندما انحرفت سيارة إسرائيلية كبيرة باتجاه سيارتين عربيتين من نوع "بيجو تندر" وصدمتها بقوة، وكان ذلك بتاريخ 1987/12/8م (جبارة، 1998).

أما الأسباب غير المباشرة فهي عديدة منها السياسية، ومنها الاقتصادية ومنها النفسية، ومن الجدير أن يصف الباحث سمات الوضع الثقافي المتردي في الضفة والقطاع حيث أقدمت قوات الاحتلال على إغلاق المؤسسات التعليمية ودور النشر، واعتقال المثقفين وفصلهم، وقطع رواتبهم، أضيف إلى ذلك تدريس منهاج لا يمت للقضية الفلسطينية بصلة.

في مثل هذا الوضع الذي عاشه الشعب بفعل السياسات الاحتلالية تفجّرت الانتفاضة قوية مجلجلة، وتشكلت المجموعات والتنظيمات النضالية التي وجهت الانتفاضة، وحرّكت بوصلتها نحو الهدف المشترك وهو زوال الاحتلال، غير أن هذه المقاومة لم ترقّ للسلطات الإسرائيلية، فقامت بقمع الانتفاضة عبر سلسلة من الإجراءات تمثلت باعتقال الآلاف، وسياسة تكسير العظام، ودفع الغرامات الباهظة. فلم تزد هذه الإجراءات الانتفاضة إلا اشتعالاً وتوقداً، فازداد الصلف الصهيوني غير عابئ بالدول العربية، ولا الأعراف الدولية، ولا الموقف الإنساني.

وما إن أطلّ عام "1993" حتّى أعلن عن التّوصل لاتفاق سلمي بين منظمة التحرير الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي يقضي بعودة أولى إلى فلسطين، وانتهت الانتفاضة بعد أن خلّفت آلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين.

وبالتأكيد ، فلم يكن الشعر بعيداً عن هذه الأحداث ، فقد أرتخ لها وواكبها ، وحمل رسائلها وقضاياها مشكلاً ديواناً ضخماً تنسب أصوله إلى حركة الشعر الفلسطيني المقاوم ، وتمتد فروعه جسراً لما تحمله الأيام . وقد امتازت مرحلة الانتفاضة بالانتساع والامتداد والتعاطف لسبيين:

الأول: أن الأطفال دون سن الثامنة عشرة هم من أوقد شعلتها، حتى غدت شعبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فلم يكن ثمة جيش يحارب، ولا ألوية تقاتل، بل كان الأطفال هم جنرالات الانتفاضة.

الأخر: أن الحجر لا البندقية هو الأداة الفاعلة التي تصدّت للجيش الصهيوني، ومن هنا نرى تفاعلات هذا السلاح على مستوى الدراسة النفسية والشعرية الذي حمل رسائل الشعب إلى العالم؛ ليؤكد أن هناك شعبا يريد أن يتحرر، وقضية يجب أن تحل .

#### المطلب الثاني: المقاومة الشعبوية – المفهوم والإشكالية

يُعدُّ مصطلح المقاومة بوصفه اصطلاحاً شائعاً ، سواء سبقت التسمية عن قصد ودراية وحسن نيّة، أو وُظِّفت سياسياً لمنصرة الحقّ الفلسطيني، إذ تدل في معناها على "عمل إيجابي يصدر عن جهة ما ، بقصد تعطيل أو إحباط عمل آخر مضاد له صادر من جهة أخرى، ولتطبيق التعريف ينبغي أن توجد قضية فيها طرف مهاجم ، وطرف مقاوم ، وأعمال هجوم ومقاومة". (النابلسي، 1987). ولو أننا فككنا التعريف لنتج عندنا ما يأتي :

عمل إيجابي – مقاومة .

جهة ما : الشعب الفلسطيني المحتل .

تعطيل عمل أو إحباطه :أساليب القمع الصهيونية ، وسياساته التوسعية .

القضية المتنازع عليها : القضية الفلسطينية .

الطرف المهاجم : المعتدي الإسرائيلي .

الطرف المقاوم : الشعب الفلسطيني.

وحين نطبق التعريف على أدب المقاومة ، وننقله من الواقع الفعلي المقاوم إلى الواقع الأدبي نستطيع القول: إن الأدب الفلسطيني المقاوم هو عمل إيجابي صدر عن الأدباء والشعراء الفلسطينيين؛ لتعطيل المشروع الصهيوني، والرد على أدهم الأسود؛ لإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، وهذا يقتضي أن تُشرع الأقلام بغية فضح السياسات الإسرائيلية لإثبات الحق الفلسطيني الضائع .

وأما مفردة (الشعبية) فهي نسبة إلى الشعب الفلسطيني، وصفةٌ للمقاومة، وتندرج تحتها المشاركة الجماعية في أعمال المقاومة، وقد اتخذت طابعا يتسم بما يأتي:

- السلمية: إذ تبتعد عن العسكرة وأساليب العنف .
- الاجتماعية: وذلك بمشاركة كل فئات الشعب رجالا ونساء وفتية .
- الشمولية: حيث استوعبت المستوى الميداني، والإعلامي، والثقافي، والوجداني.
- الإنسانية: حيث كسبت التعاطف الدولي والأممي، وتأسست حركة التضامن الدولية تجاهها.

هذا، وقد برزت مفاهيم عدّة تحمل في مضمونها العام معنى المقاومة الشعبية من مثل: المقاومة السلمية ، والمقاومة السلبية، والمقاومة اللاعنافية، والعصيان المدني، وسياسة اللاتعاون، والمقاطعة...إلى غير ذلك من المصطلحات (عودة، 2012) وجميعها تحمل ذات الهدف، وتؤشر إلى الطرق المؤدية إليه؛ إذ إنّ جميع المصطلحات السابقة تعبر عن فعل غير عنيف، وتسمى لمقاومة فعل غير مرغوب فيه وإن بدرجات متفاوتة، وبذلك يمكن اعتبار مصطلح المقاومة الشعبية مصطلحا جامعا لكافة أشكال واستخدامات اللاعننف في مواجهة كافة أشكال الظلم والقهر ("حسن، 2016).

ولعلَّ الإشكاليَّة التي تثار هنا تتمثل في كيفية مواجهة محتل غاصب للأرض اعتمد سياسة القتل والطرْد والإحلال السكاني بالوسائل السلمية؟ وكيف تقف الكلمة والأغنية والحجر لتعانَد الرصاص والدبابة الإسرائيلية؟ في حين تبرز إشكالية أخرى تتمثل في أن المقاومة السلمية يمكن توظيفها -تداوليا- في مجابهة سياسة الحكم الاستبدادي داخل الدولة نفسها؛ حفاظا على مقدرات الدولة وسلمية الشعب، ولكن كيف يمكن أن تؤدي دورها الفاعل والمنجز إزاء عدو مجرم احتل الأرض، وطرْد أهلها، وتنكر لكل قوانين الشرعية الدولية؟.

وبالتأكيد، فقد نجحت المقاومة السلمية في تأكيد الحق الفلسطيني، واستعادة الذات والهوية، وفي قدرتها على خلق صورة إعلامية مشوّهة للآخر الضد وأن جزئيا، لذا فهي تُعدُّ شكلا رفيعا من أشكال المقاومة يتقدم على الأشكال الأخرى ولا يلغها.

### المطلب الثالث: أشكال المقاومة الشعبية

في التأسيس الفعلي يمكننا تقسيم المقاومة الشعبية إلى أشكال رئيسة، وقد تجذرت هذه الأشكال في نصوص الديوان بكل ملامحها الموضوعية والتصويرية، وهي:

1-المقاومة الميدانية: وتكمن فاعليتها في توظيف أدائها السلمية من حجارة ومظاهرات وبيانات واحتجاجات... وسيعتني الباحث بتوضيحها في المبحث الثالث في معرض الحديث عن أدوات المقاومة الشعبية، وأكتفي بسرد المقطع الآتي الذي يمثل أدوار المقاوم الميدانية، يقول صالح (صالح، 1998):

ملثم يوزع البيان

وأخريكتب بالحر على الجدران

وخامس يزّين الأسطح بالرايات يعلن العصيان

وسادس ينهض في بسالة ليشعل النيران

وسابع يهتف أن تقدموا

يقذفون جند الليل بالحجارة

2-المقاومة الثقافية: وتعتمد المواجهة الفكرية والحفاظ على الهوية وتأكيد الذات " ومن بين النجاحات العديدة التي حققتها الانتفاضة ذلك الصمود الرائع في مجال تأكيد الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني كشعب عربي مسلم، وتلك المقاومة الثقافية ضد كافة ممارسات الإبادة والطمس والابتلاع التي مارستها سلطات الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني (محمد، 1989)". ولعل أدل مقطع شعري يوطر هذا النوع الثقافي قول الشاعر: (صالح، 1998)

لم يرحل الشهداء

لكن انتفاضتهم على مرّ السنين

ستنقذ الفكر الفلسطيني من نار الخطب

3-المقاومة الوجدانية: وتكرس كل إمكاناتها للدفاع عن المشاعر الفلسطينية العالية والمقدسة في وجوب المقاومة، والحفاظ على الأرض، وإشاعة ثقافة التكافل المجتمعي من جهة، ومحاربة الشعور السلبي الناتج عن ممارسات الاحتلال البشعة الذي يستهدف الذات الفلسطينية باليأس والإحباط والضيق والقهر والتعب من جهة أخرى. ويمكن عدّ النوع الثالث الأهم والأعمق، يقول عبد الناصر صالح (صالح، 1998):

والوطن هو الميلاذ

الأبعاد

الوطن هو الرؤيا والزورق

قد يغفو

قد يتعب أحيانا

لكن يتألق

هل تعرف معنى يتألق؟

## المبحث الثاني: مقتربات المقاومة الشعبيّة ومظاهرها كما تجلت في المجموعة الشعريّة

حمل ديوان "المجد ينحني لكم" رسائل الشعب الفلسطينيّ في أثناء ممارسته طقوس المقاومة السلميّة، وبَيّن أهدافها ومبتغاها في نيل الحرية، وفيما يأتي أبرز القضايا التي تراءت في فضاء النصّ الشعريّ:

أولاً: رصد أعمال العنف

ينبع هذا البعد من مبدأ التزام الشاعر الوطني الثابت بقضايا شعبه، حيث شكّل اتجاهاً مركزياً، إذ لم يترك الاحتلال جريمة إلا اقترفها بحقّ الشعب الفلسطينيّ في أثناء ممارسته المقاومة السلميّة، ولعل أساليب العدو الصهيوني قد وصلت إلى أقصى حدّها؛ منتهكة بذلك مبادئ حقوق الإنسان بشأن المدنيين؛ من قتل، واعتقال، وحصار، وتدمير البنية التحتية، وإغلاق المؤسسات، يضاف إلى ذلك النتائج النفسية والاجتماعية السلبية على أفراد الشعب الفلسطينيّ كما يتوضح في النموذج الشعريّ الآتي (صالح، 1998):

من دمي يخرج مليون نهار

فاقتلوا المرأة في منزلها

واخنقوا بالغاز شيخاً طاعنا في السن

يا أحفاد هولاء التتار

أطلقوا النار على كل الصغار

إننا ميلاد شعبٍ ردّ للكون بياضه

إننا ميلاد شعبٍ الانتفاضة

ومنها معاناة الاعتقال والسجن الإداري غير القانوني، ولعل قصيدة "يوميات أنصار 3" خير شاهد على معاناة المعتقل الفلسطينيّ، وأقتبس منها للتدليل (صالح، 1998):

تطير بنا الريح، صحراء ملء نواظرنا

وقواعد للجيش محروسة بالقذائف

مرتفعات مُحصّنة بالمتاريس

أقبية لعذاباتنا

وعقارب تنخر دماء الأسرة

"لا يلد الليل إلا العقارب والحشرات الصغيرة"

جيش الأفاعي يقضّ مضاجعنا

والذباب المخيم فوق الطعام

ولعلّ الباحث سيطيل في سرد المعاناة اليومية في الديوان، لذا سيستعين بعتبة الهامش للتوثيق (صالح، 1998، صفحة 85، 77، 107).

ثانياً: رسائل التعبنة والتحريض

لا يكاد يجد الدارس شعراً يتسم بالمقاومة، إلا وهو متعانق مع هذا المضمون الأثير على طول مساحة الشعر المقاوم، كما يصعب على الدارس أن يؤرخ لشاعر مقاوم لم يتناول هذا الغرض الممتد على أرض القصيدة.

والموقف في الانتفاضة هو ذات الموقف، وإن كان اشتداد الوعي قد زاد من عمق التعبير الشعري، فاتبعت رقعته؛ فالشاعر قادر على توجيه المزاج الجماهيري واستقطابه من خلال خطابه الفني المؤثر في وعي المتلقي ووجدانه، وهو أي الشاعر في خضم العراك الميداني الذي تتحد فيه الكلمة مع الحجر، يؤسس لهذا الغرض الأثير عن طريق استدعاء أبطال التاريخ، وأساطير البعث والتحرر مستنجداً بالوسائل اللغوية، والأدوات الفنية اللازمة لذلك من صورة مؤثرة وموقف إيحائي، وأداة للنهي أو النداء، أو ضمائر الخطاب. فالشاعر هو المحرّض والشعر رسالته التحريضية، والشعب هو المحرّض في إطار لولي ممتد. ومن أشكال التحريض:

1-التحريض العاطفي اللحظي: ويتناسب هذا الشكل مع رثاء الشهداء، كما في قصيدة "مرثية لفارس القصيدة" ونص "فاتحة الدم والقرنفل في رثاء مروان المدني". أو الرد على جرائم العدو، والتعاطف مع المظلومين، وكذا قصيدة "هل غادر الشهداء" التي أهداها الشاعر إلى الشهيدين أسعد الشوا وبسام سمودي (صالح، 1998).

2-التحريض الواعي "الرؤيوي": الذي يعتمد العقل والمقارنة طريقاً للكفاح. كقوله في تحوّل السجن إلى مدرسة حيث تتجسد الفكرة، ليصل النصّ في القفلة إلى اكتشاف الذات التامة، والنص الآتي يوضح (صالح، 1998):  
هو السجن مدرسة للنضالات  
قال صديقي وهو يرسل عصفورة حول قلبي  
لن يطمس الفكرة المستفيضة نزعُ الدماء المراقبة  
هل رنت العيون إلى اكتشاف الذات؟

ثالثاً: فضاء التفاوض والتبشير

وتنهض قصيدة الانتفاضة - على الرغم من عبء الواقع - لأداء رسالتين: الأولى داخلية، والثانية خارجية. تقول الأولى: إن النصّ الشعري المقاوم نصّ متفائل يحمل مشاعر الفرح، ويفرج عن الكلمات المبتسمة، في حين تقف الثانية مترسمة خطى أختها وتقول: النصّ الشعري المقاوم نصّ مبشر، ينطلق من الداخل إلى الخارج، ومن المنغلق إلى المنتشر، ومن الذات إلى الآخرين، حاملاً نبوءة التغيير، ورؤى الياسمين، وتبشير الصباح.

إن ملامسات الواقع المرير الذي عايشه الشعب الفلسطيني يدفع باتجاه التناقض مع فكرة التفاوض، ويتجه نحو اليأس والتشاؤم من أيّ تغيير قد يحصل لواقع حي معيش متمثلاً ب:

الواقع المهزوم والانتكاسات التي لحقت بالعرب في حربها مع الكيان الصهيوني .

الواقع الظالم للقرارات الدولية التي لم تطبق، على الرغم من إجحافها وانتقاصها من حقوق الشعب الفلسطيني. والعقل الصهيوني المتمرد المتسلط على حلم صغير يريد العيش بأمان.

وعلى الرغم من صعوبة المسار، وعوائق المستحيل في التغيير، أبدع الشعراء على مستوى الكلمة، نصّاً متفائلاً، وتقوم مصادره على أصول ثلاثة هي:

التفاوض الديني المرتكز على النصّ المقدس فيما يتعلق بتمجيد الشهداء (صالح، 1998)، والمتكئ على النبوءة من مثل قوله في نص "تكوين":

وفي زمن الانتفاضة

ينفجر الأحمر القرمزي

ويبتدىء الوطن المنتظر

ويدرك القارىء المتقبل ما في الجملة التعبيرية (ويبتدىء الوطن المنتظر) من استشراف لعقيدة المهدي المنتظر.

التفاوض التاريخي: لقد شهدت فلسطين وقائع تاريخية تفاوتت بين ثنائية الهزيمة والانتصار فترة طويلة من الزمن؛ احتلها الصليبيون، وحولوا بيت المقدس اصطبلأً لخيولهم. ثم قبض الله السلطان الناصر يوسف بن أيوب "صلاح الدين" فحررها 1187م. وتبع ذلك وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وذهب الإنجليز وبقي الشعب، إلى أن وقعت الأرض تحت حوافر الغزاة الصهاينة. والنبوءة التاريخية تقضي بأن ينتهي هؤلاء وتبقى فلسطين لأصحابها؛ لأن الاحتلال ظلم والظلم ضعيف زائل، وقضية فلسطين قائمة على العدل، والعدل قوي منتصر باق.

التفاوض الواقعي: لقد صمد الشعب الفلسطيني عشرات السنين أمام طغيان الغزاة، فما استسلم ولا استكان، والانتفاضة شاهدة على ذلك؛ شعب أعزل يقف أمام أضخم ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط، طفل يجابه جندياً، وحجر يقاوم دبابة، إن هذا الصمود الأسطوري على الأرض، دعم مفردتي التفاوض والتبشير



التقط الشعراء هاتين المفردتين وراحوا ينشدون، ويبشرون، وأصبح الشاعر بمثابة الرافعة من السقوط، وبسمة في وجه الليالي الحالكة. وقد أحسن كنفاني، في معرض حديثه عن مواقف شعر المقاومة وأبعادها، حين قال: "لقد كان شعر المقاومة وأدبها على العموم متفائلاً منذ البدء، ولم يكن هذا التفاؤل ضرباً من الفراغ،... ولكنه كان نتاجاً معافى، وشديد المراس، لإدراك عميق لأبعاد المعركة، وانتساباً أصيلاً لجماهيرها الحقيقية وقضاياها" (كنفاني، 1987).

وتتجسد في النَّصِّوِّصِ الشَّعْرِيَّةِ دوال تحمل سمة التفاؤل والتبشير مثل: الفجر، الفرح، العاصفة، الغناء، الأزهار... ولتأخذ -على سبيل المثال- هذا المقطع الذي يفتحه الشاعر بوصف حالة الدفاع الشعبي عن طريق النشيد والتهاتف كوسيلة من وسائل المقاومة الشعبية الميدانية، ويختتمها بالتفاؤل عبر توظيف أسلوب النفي السلبي للحزن واليأس، ومن ذلك قول الشاعر (صالح، 1998، صفحة 97):

كان النشيد يصارع الطلقات في شمس الظهيرة  
أغنية تفيض على الرمال  
تجدد العهد الذي أعطى الدم المسفوح خضرته  
وتسقط من حساب الثائر العصري  
كل معادلات اليأس  
والحزن المعتق والتعب

ويندمج الشاعر في تفاؤله مع ذرات الطبيعة ومظاهر حيويتها من الأزهار والأقمار والخيول، التي تموت أو تغيب، ثم تعود في موسم النضج والحياة، ولنقرأ مقطعاً من قصيدة للشاعر المقاوم عبد الناصر صالح: (صالح، 1998)

المجدُّ للشهيدِ  
يَبْزُغُ النَّهَارُ مِنْ شَرِيانِهِ  
وَمِنْ عَيْنَيْهِ يَطْلُعُ الْقَمَرُ  
وَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ مِنْ يَدَيْهِ  
تَصْهَلُ الْخَيْوَلُ مِنْ أَهْدَابِهِ  
وَيَخْرُجُ الْمَلْتَمُونَ مِنْ دَمَائِهِ  
وَيُورِقُ الشَّجَرُ

فالمفردات مفعمة بالحيوية والحركة بعد حالة من السكون والتردي، وتوحي الأفعال المضارعة بالاستمرارية "يَبْزُغُ، تَبْدَأُ، يَصْهَلُ، يورِقُ". والجملة الاسمية الوحيدة في المقطع هي "المجد للشهيد" تأتي لتدل على ثبوت الوصف للشهيد. وتحمل قصيدة "الميلاد" سمة التفاؤل بكل مقاطعها: (كنفاني، 1987)

#### رابعاً: تأصيل الهوية الفلسطينية

تعرف الهوية بأنها: "حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، وتنسب الهوية إلى "هو" وهي في الوقت نفسه ما يشخص الذات ويميزها عن الغير" (معلوف، 2000). وتعتمد الهوية في ابتداء وجودها على مصادر ثلاثة تستمد منها أسسها وركائزها وهي: الدين، والتاريخ، والجغرافيا.

ويمثل الدين بما يمثله من عقيدة وعبادة تأصيلاً لشخصية الأرض وما تحمله من طقوس دينية ومعالم إسلامية، ومباركة إلهية كما قال الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله} (الإسراء:1). وفلسطين أرض مقدسة شهدت هجرة إبراهيم عليه السلام، ميلاد المسيح عليه السلام، ومسرى محمد عليه الصلاة والسلام، وأوقفها عمر بن الخطاب على أجيال المسلمين. وفيها من المعالم الإسلامية والمسيحية ما يدل على عروبيتها، ويضم تراها رفاة الشهداء. ويقف التاريخ شاهداً على هوية الأرض العربية والدينية (الإسلامية والمسيحية)؛ فالكنعانيون هم أول من سكن فلسطين، واليهود طارئون عليها، والمعارك التاريخية أفق ممتد في الذاكرة الفلسطينية رغم إيغالها في القدم. واستطاعت الجغرافيا - تحديداً - أن تصمد في وجه المخططات الصهيونية التي ترمي لتهويدها من خلال تغيير الأسماء والأوضاع، والاستيطان الذي استولى على الأرض، وشوه معالمها، وهدم جدران الفصل

العنصري وورث الأجداد أبناءهم مفاتيح بيوتهم، ولا يزالون ينتظرون بفارغ الصبر العودة إلى أراضيهم وبلداتهم التي هُجروا منها غصباً وعدواناً.

وعى الشاعر الفلسطيني المقاوم هذه "الموتيفات" فكرباً، واستند إليها في ردّه على الأدب الصهيوني، وارتكز في تعبيره على تأصيل هذه المبادئ في عقل الشعب، وترسيخها في الوجدان والذاكرة.

وفي هذا السياق يؤكد حسني محمود على أهمية هذا الهدف وأثره على الشعراء بالقول: "وأبرز خصائص الموضوعات التي جسدها الشعراء، وأكدوها في هذه المرحلة، الهوية الفلسطينية التي تعني ملاحم الشخصية الفلسطينية التي نبتت من التراب الوطني الفلسطيني، وحملت نكهة هذا التراب من خلال عذائها للبقاء فوقه (محمود، 1984).

ولا شك في أن الهوية الفلسطينية تعرضت، وتعرض إلى سياسة الطمس الكامل، بالتغيب تارة، والتذويب طوراً، وأخيراً بالترفيف؛ لمحاولة إثبات وجودهم بالحفريات والتنقيب عن آثار مزعومة في هذه الأرض التي يشهد بعروبيتها كل متحرك وساكن، إنَّ هذا السرد الفكري، والمعالجة الواعية لتأصيل الهوية كانت تمهيداً لانعكاسها في الشعر المقاوم، ويرى الباحث أن الشعر الفلسطيني استطاع بامتياز ملء هذا الفضاء، وعبر عنه بكفاءات فنية عالية.

إن مرحلة البيات التي تعرضت له الشخصية الفلسطينية قبل الانتفاضة جعلت الشاعر دائم البحث عن هويته، إلى أن جاءت الانتفاضة، فوجد فيها طريق الخلاص، فسلك الجادة وسجلها بكل مفرداتها الشعريّة. والمدونة الشعريّة تتواتر حول هذا الموتيف، ولعل قصيدة "تكوين" تعكس جدية النصّ وشاعريته وقيّمته الفنية في التأصيل، ويحسن بالباحث أن يفتتح الكلام هنا بإيراد النموذج الآتي الذي يؤكد الأصل الكنعاني التاريخي: (صالح، 1998، صفحة 145)

أجوب محطات العالم بحثاً عنك

هل تنتسبين إليّ

هل أنتسب لحزنك

تنتسبين لحزني؟

يا امرأة أودعت بها كل تراثي الكنعاني؟

ويمثل قوله الآتي استراتيجيّة الرد على الخرافة التوراتية من خلال استدعاء (العهد الجديد) في مقابل أسطورة (العهد القديم):

أزف العهد الجديد

يا عدو الشمس والإنسان

عدنا من جديد

### المبحث الثالث: مفردات المقاومة الشعبية في الديوان - دراسة إحصائية فنية-

كثيرة هي أدوات المقاومة الشعبية، وممتدة، ومتطورة أيضاً، تناسب الظروف والموقف، وقد ذكر (جين شارب) أدواتها ووسائلها في كتابه "المقاومة اللاعنافية" في الفصل الرابع حين أشار إلى أنّ هناك العديد من الوسائل والأساليب التي تشكل بمجموعها أسلوب عمل اللاعنفاء، وقد عمد المؤلف إلى تصنيفها لمجموعة من الفصائل والوسائل والأسلوب، ومنها الاحتجاج والإقناع باللاعنف، وهذه تتضمن طائفة واسعة من أعمال معظمها رمزية من المعارضة السلمية أو محاولة إقناع ممتدة وراء التعبيرات الكلامية... ومن بين هذه الوسائل الاستعراضات، والأمسيات، التهديدات بالإضراب، اليافطات، محاضرات التوعية بموضوع الساعة، إعلان الحداد، اللقاءات الاحتجاجية... (العقلة، 1988).

مما سنعتز عليه في نصوص الديوان.

المطلب الأول: جدول إحصائي لأدوات المقاومة السلمية

وعبر معاشية الشاعر لانتفاضة الحجارة ، وممارسته مفاعيل تلك المقاومة تجسّدت في نصوص الديوان أدوات المقاومة الشعبية ومفرداتها، ولعل الجدول (1) الإحصائي الآتي يوضح تنوع الأدوات وفاعليتها ويظهر جماليات الصورة وتشكلاتها.

جدول (1) جدول إحصائي لأدوات المقاومة

رقم الصفحة	المقطع الشعري	عنوان القصيدة	الأداة
29	هل ألقوا عليك القبض بعد مظاهرات اليوم ؟	مرثية لفارس القصيدة	المظاهرات
65	وهتفت من أجل الحياة	فاتحة الدم والقرنفل	الهِتافات
61	صرت نبعا دافقا وسط الحجارة	فاتحة الدم والقرنفل	الحجارة
63	لم يبق في الأنهار غير حجارة الصوان	فاتحة الدم والقرنفل	الحجارة
68	هي وثبة أخرى وينتصر الحجر	فاتحة الدم والقرنفل	الحجر
70	المجد للحجر	المجد ينحني أمامكم	الحجر
71	المجد للمقلع	المجد ينحني أمامكم	المقلع
71	... للمتراس	المجد ينحني أمامكم	المتراس
71	للكوفية السمراء	المجد ينحني أمامكم	الكوفية
71 ، 70	المجد للأطفال والشباب والنساء والجدران	المجد ينحني أمامكم	العنصر الفعلي المقاوم العصيان والإضراب في السجن
72	المجد للأسرى الذين قاوموا سجانهم وأعلنوا عصيانهم	المجد ينحني أمامكم	البيانات
74	ملثم يوزع البيان	المجد ينحني أمامكم	الكتابة على الجدران
74	وأخر يكتب بالحبر على الجدران	المجد ينحني أمامكم	الرايات
74	وخامس يزين الأسطح بالرايات يعلن العصيان	المجد ينحني أمامكم	إشعال الإطارات
75	وسادس ينهض في بسالة ليشعل النيران	المجد ينحني أمامكم	الهِتاف
75	وتاسع يهتف أن تقدموا	المجد ينحني أمامكم	الحجارة
76	يقذفون جند الليل بالحجارة	المجد ينحني أمامكم	الحجر حيث يتكرر 17 مرة
90-81	وصبية ترخي ضفائرها لتهتف باسم عاشقها القمر. حجر	قصيدة "في البدء كان الحجر"	النشيد
96	كان النشيد يصارع الطلقات في شمس الظهيرة	هل غادر الشهداء	الأغنية
96	أغنية تفيض على الرمال تواجه الطلقات والغاز المسيل للدموع	هل غادر الشهداء	طقوس العرس الفلسطيني
99 و 98	للعرس الفلسطيني طعم المسك جمهرة النساء وهن يطلقن الزغاريد احتفال الفتية الأطفال في الميدان، رقص الخيل مشدودا إلى لحن البيادر	هل غادر الشهداء	البيارق
116	وما بين جوعي وشوقي إليك تظل البيارق مرفوعة	محاولة لملء الفراغ	الهِتافات
116	المآذن صارخة بالهِتافات	محاولة لملء الفراغ	الشعارات
116	تبقى الميادين مفتوحة والحوائط مدهونة بالشعارات	محاولة لملء الفراغ	

والملاحظ على الجدول السابق أنه احتوى على جلّ مفردات المقاومة السلمية، ورسم صورة كلية للملامح المواجهات الشعبية التي طالما كانت تحدث في أزقة البلدات الفلسطينية.

كما يظهر الجدول العنصر البشري الذي مارس المقاومة الشعبية على الأرض والمتمثلة بقوله "المجد للأطفال والشباب والنساء والجدران".

ويولي الشاعر اهتماما خاصا بالمكان الفلسطيني: المدن والقرى والمخيمات، ويمجد كفاح السجن داخل المعتقلات الصهيونية. وسيختار الباحث الصور التي شكلت (تيمات) مركزية في النص الشعري؛ ليظهر تَبْرُجَهَا الفني.

### المطلب الثاني: مفردات المقاومة الشعبيّة وتشكلاتها الفنيّة

إنّ التعبير عن المشاعر والمواقف والأفكار فطري في الإنسان وهو بحاجة إلى هذا التعبير لإبداء آرائه حول قضاياها الخاصة والعامة، وهذا التعبير ضروري أيضاً لإبداء إعجابه أو رفضه أو نفوره من المواقف المختلفة.

وإذا كان هذا التعبير ضرورياً وفطرياً للإنسان بعامة، فإنه بلا شك أكثر ضرورة وإلحاحاً للشاعر ذي الحس المرهف والعاطفة الجياشة، ومن هنا يدرك المرء أهمية التعبير للشاعر تجاه الحياة بتناقضاتها، والكون بتفاصيله، والإنسان بمواقفه

غير أنّ تعبير الشاعر يختلف عن تعبير بقية الناس، فهو ينظر إلى الأشياء ليس كما هي في الواقع، وإنما ينظر إليها كما يحب أن يراها، أو كما يجب أن تكون.

وتدخل عناصر الإحساس والخيال والعاطفة والتأثير والتجربة في صوغ هذا التعبير، وهو ما اصطلاح على تسميته بالصورة الشعريّة التي هي " أثر الشاعر المطلق الذي يصف المرئيات وصفاً، يجعل قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظرًا من مناظر الوجود (مبارك، 1973). ومبتغانا في هذا التقديم أن نجلي الصور التي رسمها الشاعر للمقاومة الشعبيّة، وأثر تلك الصور في الواقع الفلسطينيّ.

أفاض الدكتور عبد الإله الصائغ في سرد جهود القدامى والمحدثين في دراستهم للصورة الشعريّة ابتداء من الجاحظ ومرورا بالجرجاني وليس انتهاء بحازم القرطاجني (الصائغ، 2007).

ولعل جمال التعبير عند الشاعر يكمن في إبداعات خياله، إذ "لا جمال للشعر إلا إذا أضيف إلى الحقيقة شيء من الخيال (مبارك، 1973). ولا يقصد بالخيال الخيال العادي الذي يخلق مع الناس جميعهم. ولكنه الخيال الثانوي- أي الخيال الشعري- كما سماه (كولدرج) (العشماوي، 1984). إن الخيال هو القوة التي تمكنه من أن يخلق لنا عملاً يتجسد فيه مبدأ التوفيق بين المتناقضات" (العشماوي، 1984).

وإن للصورة هدفاً يتغيه الشاعر، ويرصده ويسعى لتحقيقه وذلك لإحداث التأثير في المتلقي "وفضل الصورة هو تمكين المعنى في نفس القارئ والسامع". (مبارك، 1973). ومتى استطاع الشاعر إحداث هذا التأثير في المتلقي قارئاً وسامعاً فإن صورته تكون ناجحة في جانب أو جوانب معينة منها على اختلاف فهم المتلقي، وثقافته وتذوقه.

ومن هنا تبرز أهمية الأثر النفسي في بناء الصورة؛ فالأثر النفسي نابع من التجربة الشعريّة "ونقصد بالتجربة الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره، وإحساسه، فيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص في، لا إلى مجرد مهاراته في صياغة القول". (هلال، 1987).

ويخلص الناقد محمد غنيمي هلال من بحثه في قضايا التجديد في الشعر ومذاهبه الحديثة إلى النتائج التي تؤكد عمق الصورة من خلال النقاط الآتية:

- الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة الشعريّة في معناها الكلي أو الجزئي.
- ربط التشابه بالشعور في نقل التجربة، وكلما كانت الصورة أكثر ارتباطاً بالشعور كانت أقوى صدقاً، وأعلى فناً.
- الصورة لا بد أن تكون عضوية في التجربة الشعريّة، وتقتضي أن تؤدي كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعريّة، التي هي الصورة الكلية وذلك بأن تكون الصورة الجزئية مسايرة للفكرة العامة " (هلال، 1987).

بوسع الدارس أن يحلل النصوص الشعريّة لأدوات المقاومة في الجدول السابق على مستوى المفردة، وعلى مستوى الأسلوب، وعلى مستوى عناقيد الصور الشعريّة، حيث يؤسس الشاعر ملاحم صورته عبر استدعاء أبطال التاريخ، وأساطير البعث والتحرر مستنجداً بالوسائل اللغوية، والأدوات الفنية. وسيختار الباحث مجموعة من صور المقاومة الشعبيّة وتشكلاتها التصويرية كما يأتي:

## نُبوءة الحجر المقدّس:

يمثل الحجر أداة الفعل الشعبيّ على الرغم من بساطته مقارنة بأسلحة العدو الصهيوني، وقد تفاعل الشعراء بهذا الحجر، موظفين قصة طالوت وجالوت، وداود الصغير؛ فالحجر يمثل نبوءة الانتصار، نبوءة التحول من السكون إلى الحركة، كما أنه يمثل لحظة البدء في الثورة، فالشاعر عبد الناصر صالح ينظم قصيدة طويلة بعنوان "في البدء كان الحجر" يمتدح فيها الحجر المعجزة حيث يقول: (صالح، 1998)

هي خُطوةٌ قبل الدّخولِ إلى الحجِرِ

هي خطوة تأتي ويتبعها الحجر

هل كان في البدء الحجِر؟

يوحي التساؤل في السطر الأخير بالاستشراف والنبوءة الشّعريّة "هل كان في البدء الحجر" ليعود الشاعر مؤكداً هذه الحقيقة موازيا للكلمة المقدسة في الإنجيل: "في البدء كانت الكلمة" (صالح، 1998):

في البدء قد كان الحجر

بيتاً، إلهياً للعبادة

واليوم قد صار الحجر

رمزاً لتحقيق السيّادة.

والمفارقة التصويرية تبدو بين الحجر كمكون مقدس من عقائد مختلفة وبين الحجر كرمز للتحرير. وكما صوّر الشاعر الطفل بالنبي، صور الفتاة الفلسطينية المكافحة في مشاركتها في أعمال النضال الشعبي ومن ثم يصبح الحجر معشوقاً لها كالقمر شكلاً وإضاءةً وفاعليةً أيضاً.

وصبية ترخي ضفيريتهما لتهتف باسم عاشقها القمر..حجر

ولعله يحسن أن أشير إلى النبر الإيقاعي العالي والغنائية القوية للقصيدة بكاملها والتكرار المثير؛ بحيث يستولي الجرس على عاطفة المستقبل وهو ما يحسب للشاعر في إذكاء الشعور الكفاحي للناس، فالقصائد في تلك الفترة كثيراً ما تلقى في الجماهير في أثناء المظاهرات العامة، ويكاد يكون من أهم خصائص الأسلوب للشاعر المنتفض، ويقفل الشاعر نصحاً "في البدء كان الحجر" بعبارة دعائية تتسم بالتكرير البلاغي، وتؤنس الحجر وكأنه زعيم للأمة:

عاش الحجِر.. عاش الحجِر.. عاش الحجِر

الصورةُ البصريّةُ للعرسِ الشعبيّ الفلسطينيّ :

يرسم الشاعر صورة عنقودية مركبة ومكتملة للعرس الفلسطينيّ بل وتراثية أيضاً؛ بوصفه وسيلة من وسائل المقاومة السلمية التي تحمل شحنة الفرح للفلسطينيّ، كما يرى على أوضحه في المقطع التالي: (صالح، 1998)

هل وصل النشيدُ إلى عيون الزهرِ

للشهداء لونُ ربيعنا القمريُّ

عَنابِ الهوى والوجد

للعرسِ الفلسطينيّ طعمُ المسك

جمهرهُ النساءُ وهنَّ يطلّقنَ الزغاريدَ

احتفالُ الفتية الأطفالِ في الميدانِ ،

رقصُ الخيلِ مشدوداً إلى لحنِ البيادر

هل رنت العيون إلى اكتشاف الذات

هل وصلت طلائع عرسنا الناريّ؟

مقطع شعرى تراثى وحضارى، تفوح منه رائحة الرىف الفلسطينى، ويحمل أنواع المقاومة الميدانية والثقافية والوجدانية.

فى التكوين الموضوعى يتأطر النص فى توصيفه الزفة الفلسطينىة، وهو ليس عرسا شخصيا لمناسبة اجتماعية، بل لعرس الشهيد الفلسطينى بدليل العبارة الفنية (طعم المسك) ومتوسلا بأداتين من أدوات المقاومة الشعبىة ألا وهما النشيد والزغاريد، وقد جرت العادة أن تجتمع النسوة مع الصبية والرجال ويأتى (العريس) على الخيل، ومن ثم تبدأ الطقوس الشعبىة، وهو ما عبر عنه النص الشعرى حتى فى أثناء زفة الشهيد (العرس النارى).

ويتبدل المقطع السابق نصا مكتملا عبر عنقود من الصور البصرية المعبر عنها سيميائيا من خلال الدوال:

- الزغاريد: وهو دال حركى/ جمهورى/ شعبي/ يحمل سوسولوجيا الفرح أيا كانت المناسبة الجميلة، غير أن العجيب أن توظف هذه المفردة فى موت شهيد إذ يستدعى -تداوليا- الحزن والفراق، وهنا تكمن الجمالية السيميائية فى الصدام اللغوى الذى يحقق لذة النص الشعرى.
- الخيل: يتكثف المعنى عبر استدعاء الإرث العربى لصورة الخيل، ورقصة الخيل دلالة إيجابية، غير أنها تحتاج لألفة عاطفية، وهو ما يشى بالعلاقة بين الفارس وفرسه.
- البيادر: مكون جغرافى وريفى بامتياز، يرسم ظلالات للحالة الفلسطينىة زمن المواسم الزراعية بما فيها من اجتماع شعبي وألحان وأغان.

ليقفل المقطع بنظرة رؤىوية يكتشف الشاعر فيها ذاته (هل رنت العيون إلى اكتشاف الذات) بعد بيات الشخصية قبل ممارسة الفعل الميدانى .

#### السجن كينونة شعبىة وثقافية

أما المفردة الثالثة فى السجن، وقد سبق الحديث عن المعاناة التى يعيشها المعتقلون داخل السجون الإسرائيلىة من شبح وتعذيب، ومنع للزيارات، وما ينتج عن ذلك من حالة نفسية تؤثر على السجين وأهله، وحياة الأسير الفلسطينى وثيقة الصلة بالمقاومة الشعبىة من خلال التمرد على قرارات السجن، والعصيان عن طريق الإضراب عن الطعام، وتحولات السجن من مكان للإحباط إلى منارات للثقافة والنضال. وتمثل الأسطر الشعرىة الآتية الحالة ذاتها فى

السجن/ المعاناة: (صالح، 1998)

هل تطأ الخيل هذى البلاد التى سكنننا

ويرتسم الوجد نجماً تراءى

على ساحل البحر

هل نتوقف؟

أم نكتفى بالبكاء

وبسكت فىنا الكلام

وينظر القارئ إلى الاستفهام الإرجاني "هل نتوقف؟، هل نكتفى؟، هل يسكت؟" وهى استفهامات تلتها أفعال دالة على السكون؛ فالسجن هنا فى الواقع معادل موضوعى للمعاناة والتوقف. غير أننا نرى تعبيراً مرتفعاً، ونصاً مبشراً؛ فى المقطع الثانى يصبح السجن معادلاً للحرية والنور: (صالح، 1998)

قلت: فليكن السجن جسراً

تمر عليه القبائل

حتى يزول الغمام

فالسجن فى التعبير الشعرى يعادل الجسر، والجسر حلقة وصل بين منفصلين؛ الأول: المكان المغلق، والآخر: هو الفضاء المطلق، ولعل الشاعر قد وفق باستخدام أسلوبية الأمر "فليكن" الذى يحمل نزعة التحدى؛ إذ يتحول فى نظر الشاعر

من مكون سلمي احتلالي إلى مدرسة للنضالات في ضمير المقاومة الشعبية، ويصور الشاعر حياة السجناء وهم يتحلقون للحديث قانلاً: (صالح، 1998)

هو السجنُ جمعُ من الأصدقاء التقوا بفتةً  
وأحاديثُ تقفز عن ذكريات الطفولة  
حيث النهار استراح على عتبات المقيم

والتشخيص واضح للأحاديث وهي تدور من سجين لآخر بأنها تقفز، وهنا يلمح المتلقي جانب الألفة في انتقال الأحاديث، وكأن لكل واحد منهم قصة وذكريات يريد أن يعبر عنها، وهذا ما يطمح إليه السجين لينفّس عن ذكرياته.

### الموت مفتاح الحياة في فكر المقاومة الشعبية

في السياق المحلي للمقاومة الشعبية ينبغي الإدراك المسبق أن معنى السلمية يجب ألا يفهم منه الاستسلام " فهناك توضيحات كبيرة ينبغي لنا أن نتوقعها في النضال من شهداء وجرى وخسائر شخصية" (قمصية، 2011). والموت في النص الشعري علامة سيميائية يُظن من ظاهرها الانتهاء والسكون، فإذا هي انطلاقة وثابة في وجه الليل، وبسمة في وجه النهار المشرق

الموت يعني النهاية : حقيقة مادية الموت يعني البداية : نبوءة شعرية

غير أن الموت المقصود ليس خروج الروح أو انتهاء العمر، بل هي الشهادة من أجل التحرير، تلك الفلسفة التي أتقنها الشهداء، وأبدعها الشعراء هازنين بالأهوال، وقد يبدو الأمر أكثر عمقاً، إذا نظرنا للآخر الإسرائيلي الذي يخاف الموت، ويحرص على حياة. وفي هذا المشهد يقول الشاعر في "فاتحة الدم والقرنفل":

الموتُ أصبح مدخلاً للتصير  
صار الموتُ مفتاحاً لأبواب الحياة

إن استخدام الشاعر للناسخ "أصبح، صار" يستحضر حالة سابقة، ويؤسس لدرامية محتملة للنص الشعري تتمثل في:

الموت كان مدخلاً للهزيمة - أصبح مدخلاً للتصير

وفي السطر الثاني "الموت مفتاح" يستدعي الحالة الآتية:

الموت كان مغلقاً لأبواب الحياة - الموت صار مفتاحاً لأبواب الحياة.

وفي الواقع يقارن بين حالين: حال ما قبل الانتفاضة، وحال حضورها، وعلى جسد القصيدة كذلك حالتان: حالة خفية يرفضها النص ويخفيها، وحالة ظاهرة يمجدها النص ويسجلها على مساحة البيضاء.

ومهما يكن من أمر، فلقد نجح الشاعر في تقديم صورة ناضجة وشعرية للمقاومة الشعبية إبان الانتفاضة الأولى، ورسم ملامحها وإنجازاتها بكثير من العاطفة الشعريّة.

### النتائج والمناقشة:

تأسيساً على ما ورد في الدراسة في إطارها الزمني انتفاضة (1987) والموضوعي ديوان المجد ينحني أمامكم)، وما توضّح من مفاهيم معرفية حول المقاومة الشعبية، ومن مدركات شعريّة في النصوص المدروسة، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- أظهر البحث جدوى استخدام معطى "المقاومة الشعبية" في الشعر، ومدى فعاليته في رسم تطلعات الشعب في نيل الحرية بالموازاة مع الفعل الميداني.

2-أسهم الشاعر عبد الناصر صالح فى ديوانه المدروس فى تحقيق رسائل المقاومة الشعبىة المتمثلة بالتعبئة الميدانية، والتفاؤل والتبشير بالنصر، وفى تأصيل الهوية وتأكيد وجودها.

3-حمل الشاعر عبد الناصر لواء المقاومة الثقافية فى الدفاع عن الوجدان الفلسطينى والوعى الشعبى وتحرير الشخصية الفلسطينية من البيات إبان مرحلة الانتفاضة الشعبىة التى تمتعت بمفاعل التأثير الإيجابى .

4-مثل "الحجر" المقدس بوصفه أداة المقاومة الشعبىة نبوءة الانتصار، وحمل سمة التحول من السكون إلى الحركة، كما مثل لحظة البدء فى الثورة.

5-رسم الشاعر صورة شاعرية للسجن بوصفه وثيق الصلة بالمقاومة الشعبىة، وذلك من خلال التمرد على قرارات السجن، والعصيان عن طريق الإضراب عن الطعام، حيث تحولت مفردة السجن فى النص الشعري من مكان للإحباط إلى منارات للثقافة والنضال.

6-بينت النصّوص الشعريّة المحللة فنيا سيطرة أدوات المقاومة على جسد القصيدة إن على مستوى المفردة، أو على مستوى الأسلوب، أو عبر تشكيلات الصور العنقودية كما رأينا فى توصيف العرس الفلسطينى.

7-يؤسس الشاعر ملاحم صورته عبر استدعاء إحدائيات التاريخ، وفكرة البعث، مستنجداً بالوسائل اللغوية، والأدوات الفنية اللازمة لذلك من صورة مؤثرة، وموقف إيحائى.

#### توصية:

يوصى الباحث الدارسين بتناول موضوعة المقاومة السلمية فى الشعر الفلسطينى زمانياً ومكانياً، إذ لم يعثر الباحث على هذا العنوان فى مراجعاته النقدية، كما يوصى بتكوين أنتولوجيا شعريّة للقصائد التى قيلت فى مواكبة يوميات المقاومة الشعبىة.

#### مسرد المصطلحات:

الأسلوب: طريقة التعبير المميزة لكاتب معين. (قرة، 2009).

الأنتولوجيا: مقتطفات ومختارات نثرية أو شعرية تمثل أسلوب وتطور فكر لفترة أو فترات زمنية، وفضاءات أو فضاء ما، وتمنح (الانتولوجيا نظرة شمولية عن إنتاج الفترة والشخصيات وتقدمها. (علوش، سعيد، 1985).

الأيقونة: نمط من العلامة فى ترتيب (بيرس) حيث توجد علاقة تماثل صوريّة، كما يظهر ذلك فى الكاريكاتور/ بعض الأوسمة/علامات الطرق. (علوش، سعيد، 1985).

بؤرة: مركز اهتمام نصي وموضوع مركزي فيه. (قرة، 2009).

التيمة: صورة ملحة ومتفردة نجدها فى عمل كل كاتب. (علوش، سعيد، 1985).

السوسيولوجيا: وتبحث فى موضوع نشأة الأشكال المختلفة للتجمعات البشرية وما يجرى فيها من ظواهر وعمليات ناتجة عن التأثير المتبادل بين الناس ليدخل فى إطارها علم اجتماع الأدب. (الغنى، 2006).

المعادل الموضوعي: مصطلح حديث فى النقد عرف مع (ت.س. إلبوت)، وقصد به " ألا يعبر الكاتب عن آرائه تعبيرا مباشرا، بل يخلق عملا أدبيا فيه مقوماته الفنية الداخلية التى تكفل فنيا تبرير الأحاسيس والأفكار للإقناع بها؛ بحيث لا يحسن المرء أنّ الكاتب يفضي إليه بذات نفسه، بإثارة المشاعر مباشرة دون تبرير لها". (هلال، 1987).



الموتيف بشكل عام هو الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل البنية، أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي. (الشامي، 2007)

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المراجع العربية

- القرآن الكريم  
بوقرة ، نعمان: المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، جدارا للكتاب العالمي، الاردن، ط1 ، 2009.
- جبارة، تيسير: "الانتفاضة الشعبية الفلسطينية"، منشورات جامعة النجاح الوطنية، ط1، 1989م.
- حسن، سلوى بكر: دور المقاومة الشعبية كإحدى وسائل التحرر الوطني في تعزيز المشاركة السياسية في فلسطين، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، 2016م.
- شاهين، أحمد: موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1992.
- الصائغ، عبد الإله: "الصورة الفنية معياراً نقدياً"، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية، 2007م.
- صالح، عبد الناصر: المجد ينحني أمامكم، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، فلسطين، الطبعة الأولى، 1989م.
- عبد الحميد، مصطفى: المقاومة الثقافية في الأرض المحتلة: الانتفاضة تأكيد الهوية الوطنية، شؤون عربية، عدد59، 1989م.
- عبد الغني، عماد، سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
- العشماوي، محمد زكي " قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث"، دار النهضة - بيروت، 1984.
- العقلة، عاطف، و مبارك، عوض: المقاومة اللاعنفية لشاربجين، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، مج16، ع3، 1988.
- علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1985، ص44.
- عودة، أحمد فارس: المقاومة السلمية: تاريخ وأفاق فلسطين نموذجاً، شؤون فلسطينية، العددين 250/249، 2012م.
- قمصية، مازن: المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2011.
- كنفاني، غسان: "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)"، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م.
- مبارك، زكي: "الموازنة بين الشعراء"، مكتبة ومطبعة البابي - مصر ط3، 1973م.
- محمود، حسني: "شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه"، الوكالة العربية للتوزيع - الأردن، دط، 1984.
- معلوف، لويس: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، 2000م.
- النايلسي، شاكراً: "مجنون التراب"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.
- هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1997.
- بوقرة، نعمان: المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، دراسة معجمية ، جدارا للكتاب العالمي، الاردن، ط1 ، 2009.
- جبارة، تيسير: "الانتفاضة الشعبية الفلسطينية"، منشورات جامعة النجاح الوطنية، ط1، 1989م.
- حسن، سلوى بكر: دور المقاومة الشعبية كإحدى وسائل التحرر الوطني في تعزيز المشاركة السياسية في فلسطين، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة النجاح الوطنية، 2016م.
- شاهين، أحمد: موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، سنة 1992.
- الصائغ، عبد الإله: "الصورة الفنية معياراً نقدياً"، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية، 2007م.
- صالح، عبد الناصر: المجد ينحني أمامكم، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، فلسطين، الطبعة الأولى، 1989م.